مجلة منبر التراث الأثري
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267
المجلد: 08؛ العدد: 01؛ 2019
ص 123-140

قلعة المشور الأثرية بمدينة تلمسان (دراسة تاريخية)

AL MACHOUAR : an archeological castle at the city of Tlemcen (historical study)

د. قاضي مُحَّد – أستاذ محاضر ب ، جامعة طاهري مُحَّد– بشار–
الإيميل: kadimohamed13@gmail.com

تاريخ الاستلام:2018/10/15 تاريخ القبول:2019/02/09

ملخص :

تسعى هذه الدراسة إلى التعريف بقلعة المشور والتي تم بناؤها على يد السلطان الزياني يغمراسن بن زيان في أواسط القرن السابع الهجري الثالث عشر للميلاد بجنوب تلمسان، وقد شهد عمران قلعة المشور تطوراً كبيراً من خلال الأحداث التاريخية التي تعاقبت عليه، خاصة عند السلاطين الزيانيين الذين تداولوا على البلاط الزياني، لكن بعد انهيار الدولة الزيانية فقدت القلعة دورها الريادي مما جعلها تشغل عدة وظائف في العهد العثماني وفترة الاحتلال الفرنسي، لكن رغم التعديات تبقى قلعة المشور شاهدة على الماضي وشاغله في الحاضر، فهي لا تزال تثير اهتمام وفضول المهتمين بالتراث الأثري والسياح.

كلمات مفتاحية: : قلعة المشور– حفرية المشور الأثرية –المشروع السياحي لقلعة المشور– مظاهر الاستغلال السلبي– تثمين التراث المادي.

Abstract:

This study aims at introducing the castle of Al-Mashour which was built by Sultan Yaghmarsan Bin Zayyan in the middle of the 7th HD / 13th in the south of Tlemcen.

The architecture of al-Mashour witnessed a great development through the historical events that followed it, especially among the zeyanid period. However, after the collapse of the Zayanid state, the castle lost its leading role, making it occupy by several occupants such as the Ottomans and the French. This monument still attracts the attention and curiosity of those interested in archaeological heritage and tourists.

Keywords: AL-MACHOUAR castle, Archaeological excavation of **AL-MACHOUAR**, the tourist project of **AL-MACHOUAR** castle, manifestations of passive exploitation, valuation of material heritage

مقدمة:

عرفت مدينة تلمسان مكانة تاريخية وحضارية مرموقة منذ عصورها الموغلة في القدم، وأثّرت تأثيراً بالغاً في المغربين الأوسط والأقصى، وقد مرّت بجميع الفترات والمراحل التاريخية التي شهدتها منطقة المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة، وقد ساهمت في الأحداث التاريخية والسياسية والحضارية للمنطقة، مما نتج عنه ازدهار عمراني ومعماري زاخر تراكم عبر الأزمنة، ومن بين أشهر المنشآت المعمارية التي أسّست في عهد الدولة الزيانية قلعة المشور المنيعة، وعلى خلفية هذه المعطيات تم صياغة إشكالية المقال على الشكل التالي: ما هي المراحل التاريخية التي مرّت بها قلعة المشور الأثرية؟

1. لمحة تاريخية عن مدينة تلمسان:

تبوأت مدينة تلمسان مكانة مرموقة منذ دخول الإسلام إليها خاصة في فترة حكم بني عبد الواد الذين جعلوا من تلمسان عاصمة لسلطانهم، حيث يجمع أغلب المؤرخين والرّحالة على أن العصر الذهبي لمدينة تلمسان بدأ مع تأسيس الدولة الزيانية (1235م – 1554م 633هـ - 962هـ) في عهد يغمراسن بن زيان، أين عظم شأنها وإزداد امتداد نطاقها واتّسعت أرجاؤها، وازداد سكان أهلها والنازحين إليها من بلاد الأندلس، وأضحت محطة أنظار العلماء والمفكرين، وطلاب العلم والمعرفة الذين ارتحلوا إليها من بلاد الأندلس ومن المشرق للتعلّم والتعليم وهذا ما اقتضى عليها التّوسع بتطبيق مخطط جديد يقضي بتوسيع المدينة والاهتمام بالنشاط العمراني، حيث ذكر ابن خلدون (عبد الرحمان) في كتابه **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** في هذا المقام " **ولم يزل عمران تلمسان يتزايد وخطتها تتسع، والصروح بها للأجر والقرميد تعالى وتشاد إلى أن نزل بها أل زيان واتخذوها دار لملكهم وكرسيا لسلطانهم، فاختطوا بها القصور المونقة والمنازل الحافلة واغترسوا الرياض والبساتين وأجروا خلالها المياه، فأصبحت أعظم أمصار المغرب ورحل إليها الناس من القاصية ونفقت بها أسواق العلوم والصنائع، فنشأ بها العلماء واشتهر فيها العلام وضاهت أمصار الدول الإسلامية والقواعد الخلافية**".

تحولت تلمسان مع مطلع الربع الثاني من القرن 7هـ /13م إلى عاصمة الدولة الزيانية[1]، هذا بالرغم من الفترة العصيبة التي كانت تعيشها المنطقة والتي سادتها الحروب والصراعات، إلاّ أن هذا الأمر لم يمنع يغمراسن بن زيان من الاهتمام بالتعمير، فاجتهد في صبغ محيطه بشيء من مظاهر الأبهة،إذ وصف ابن خلدون هذه الحركة المعمارية بقوله: " **أول من خلط زي البداوة بأبهة الملك**"[2].

2. تاريخ بناء قلعة المشور:

اهتم الزيانيون بتحصين المدن ببناء الأسوار والأبراج، فبنيت المنازل ورفعت المساجد وشيّدت القصور، وزيّنت المعالم الدينية بالمدينة بفتح أبوابها لفناني الأندلس، فقد أمر الأمير الزياني ببناء مئذنتي مسجد أغادير والمسجد الجامع الأكبر المرابطي[3]، هذا الأخير الذي كان يسكن بجواره في بداية عهده، وبتحوّل تلمسان إلى حاضرة اقتصادية وثقافية، واستقطابها لعدد كبير من الناس غالبيتهم استقروا بها لما تتوفر عليه هذه المدينة من حسن ظروف المعيشة، وبمجيء السلطان يغمراسن بن زيان في أواسط القرن 7هـ/13م ليشيّد في أحد المناطق المنفردة التي تمتاز بالموقع الاستراتيجي بأعلى نقطة بمركز المدينة آنذاك، على ارتفاع يقدر ب806م على مستوى سطح البحر[4]، أحد أشهر المنشآت المعمارية للدولة الزيانية متمثلة في قلعة المشور المنيعة، لتكون سكناً له ولأهله ومقراً لدواوينه وأمواله[5]، خاصة بعدما ضاق به وبأسرته وحاشيته وخزائنه قصره القديم الذي كان يعرف بدار الإمارة المرابطية، أين استقر به في البداية، ولم يعد قادر على أن يوفر له الهدوء والأمن والراحة لمجاورتها للمسجد الجامع[6].

---

1 عبد العزيز لعرج وعلي حملاوي وعبد الكريم عزوق، **مساهمة الجزائر في الحضارة العربية الإسلامية**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، الجزائر،2007، ص 13.

2 مُحَمَّد الطمار، **تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص97.

3 سيدي مُحَمَّد نقادي، **التصميم العمراني لمدينة تلمسان ودلالاته الاجتماعية**، رسالة لنيل درجة الماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 1991، ص ص 28-27.

4 ابن خلدون ابي زكريا يحي، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، المجلد 01، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1903، ص 100.

5 عبد العزيز لعرج آخرون، **المرجع السابق**، ص 21.

6 الحاج مُحَمَّد بن رمضان شاوش، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة ملوك بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 242.

تعد قلعة المشور من أجمل وأعظم ما خلفه الزيانيون في هذه المدينة، حيث تميزت هذه القلعة المنيعة بأسوارها العالية، ومحيطها الخارجي ذو شكل المربع الذي يحتل حوالي 4000م^2 من المساحة، زينته أبراج عالية تحوز بداخلها قصراً ملكيا كبيراً وفسيحاً، وبها العديد من الدور والحدائق والنفورات، به بابين الباب الأول داخلي يسمي باب المشور، والثاني خارجي يسمى باب التويتة[1]، إضافة إلى المسجد الذي شيَده فيما بعد السلطان الزياني أبي حمو موسى الأول.

أما فيما يخص معنى المشور فيعتقد أنه المكان الذي يقيم فيه السلطان اجتماعاته مع وزرائه، علماً أنه في سنة (717هـ – 1317م) أضاف له السلطان أبو حمو موسى الأول معلمين معماريين آخرين وهما القصر والذي سماه الدار البيضاء ومسجد خاص بالأمراء ورجال الدين، إلى جانب قصر السلطان هناك قصور عديدة صغيرة، أبدع الفنانون في جعل ساحات القصر روضة من رياض الجنة ببساتينها الجميلة وكثرة مياهها، حيث وصف مُحَمَّد التنسي قصر المشور ب: "**منازله الجليلة وحدائقه النضرة**"[2].

3. التطور التاريخي والعمراني لقلعة المشور الأثرية:

مرَت قلعة المشور الأثرية بفترات ومراحل تاريخية جدَ مهمة فكانت بذلك قلعة منيعة وارث عمراني ومعماري، كما أنَها تعرضت لأعمال الترميم والتخريب في الفترات اللاحقة والتي سنحاول أن نلخصها في هذه الأسطر:

1.3. قلعة المشور في العهدين الزياني والمريني :

بعد وفاة يغمراسن بن زيان واعتلاء العرش من بعده ابنه عثمان ابن يغمراسن بن زيان (681هـ–703هـ/1283م – 1303 م) دخلت الدولة الزيانية في دوامة الحروب، خاصة مع المرينيين الذين حاصروا المدينة وحاولوا الاستيلاء عليها عدَة مرات، لكنن تلمسان لم تستسلم للمرينين فحوصرت حصاراً شديداً لمدة ثماني سنوات تعرضت خلالها للهدم والتدمير، و يقول ابن خلدون في هذا الشأن: "**نهض يعقوب المنصور سنة 699هـ إلى تلمسان فأناخ عليها واختط المدينة لحصارها وسرح عساكر في نواحيها**"[3]، واستمر الحال إلى غاية

1–مُحَمَّد الطمار، **المرجع السابق**، ص 97.
2 ابن خلدون ابي زكريا يحيى، **المصدر السابق**، ص94.
3 ابن خلدون عبد الرحمان، **المصدر السابق**، ص 204.

فترة حكم أبي حمو موسى الأول الذي عمد على إعادة الاستقرار للمنطقة بعد الحصار الشديد الذي عاشته المدينة وأهلها، حيث سارع إلى ترميم ما تلف من عمرانها خاصة أسوار قلاعها، ولتفادي تمرد بعض القبائل والعائلات الملكية ضَد الحكم الخاضعين له، لجأ الأمير الزياني أبو حمو موسى الأول إلى أخذ رهائن من أبناء مشايخ القبائل والعائلات الملكية وأسكنهم القصبة، يذكر ذلك ابن خلدون بقوله: "**ونزلهم بالقصبة وكانت شاسعة تسع المئات من الناس، ثم تمادى في خطته هذه إلى أن ملأ القصبة بأبناء أهل الأمصار والثغور من المشيخة والسوقة، وأذن لهم في إبتناء المنازل والزواج واختط لهم المساجد، فجمعوا لصلاة الجمعة ونفقت بها الأسواق والصنائع**"[1]، استعمل ابن خلدون مصطلح القصبة بدلاً من القلعة كون قلعة المشور أصبحت عبارة عن سجن إن صحَ التعبير وسمح لنزلائه بالبناء، وهذا ما يعني أن قلعة المشور أو القصبة أصبحت آهلة بالسكان وبالمباني في هذه الفترة، وقد قام أبو حمو موسى الأول ببناء المسجد داخل القلعة، هذا المسجد الذي لازال يحافظ على قطع الزليج ذات البريق المعدني المحفوفة بنقوش كتابية بخط نسخي على سطح نباتي[2].

(أنظر الصورة رقم 01)

الصورة رقم (01): تمثل مسجد المشور ومئذنته المزخرفة بقطع الزليج

1 مُحَّد الطمار، **المرجع السابق**، ص 122.

2 ابن خلدون عبد الرحمان، **المصدر السابق**، ص 204.

يعد عهد حكم أبي حمو موسى الأول عهد النمو والازدهار للدولة الزيانية في كل المجالات خاصة المعمارية منها، حيث تَم انجاز الكثير من الأعمال التي تشهد على كفاءة آبي حمو موسى الأول، وهذا ما يؤكده ابن خلدون في قوله: "**هو أول ملوك زناتة رتّب مراسم الملك وهذّب قواعده، وأرهف لذلك لأهل ملكه حدّه، وقلب لهم مجنّ بأسه حتى ذلوا لعزّ الملك، وتأدبوا بآداب السلطان**[1]"، من خلال موقف ابن خلدون يتأكّد ما ذهب إليه فئة من المؤرخين في أن فضل انتقال بلاط الدولة الزيانية من الطابع البدوي إلى الطابع الحضري بإدخال المراسيم السلطانية ويعود ذلك للسلطان أبو حمو موسى الأول، وبالعودة إلى بعض الأحداث التاريخية يمكن فهم سبب انتعاش الحياة الاقتصادية والاجتماعية في تلمسان، حيث تزامنت هذه الفترة مع سقوط أمصار الأندلس بين أيدي النصارى ماعدا غرناطة، مما أدى إلى هجرة العديد من الأندلسيين إلى دول المغرب الإسلامي، وقد حظيت تلمسان بنصيب وافر من تلك الهجرة لما كانت هذه المدينة توفره من أمن وطمأنينة، وهذا ما ساهم في ازدهار النسيج العمراني لمدينة تلمسان الزيانية[2].

خلَف أبو حمو موسى الأول في الحكم ابنه الأمير الشاب أبي تشفين (718-737هـ/1318-1337م) المتشبع بالثقافة الأندلسية،إذ كان أميراً فناناً وذا باع في الرسم وأسهم أكثر من سابقيه في تزيين المدينة ونسب إليه المؤرخون المباني المدنية الموجودة بقلعة المشور وهي قصور فخمة كما وردت في المصادر، وتتمثل في دار الملك ودار السرور ودار أبي فهر[3]،ويجمع المؤرخون على أنه في فترة حكم أبي تاشفين تحضّرت الدولة وتميزت بالزخرفة[4]، وعرفت ازدهاراً منقطع النظير وذلك بفضل سياسة الأمير الشاب في تعمير المدينة، إذ أنه شجّع كبار إمارته على بناء الاقامات الفخمة وغرس البساتين[5]، ولعلَ ولع أبي تشفين في التعمير جعله يستدعي الصنَّاع من الأندلس، حيث بعث له أبو الوليد بن الأحمر أمهر البنائين، إضافة إلى الآلاف من الأسرى المسيحيين الأوربيين الذين كانوا

1 عبد الحميد حاجيات ومعروف بلحاج ومبخوت بودواية، **كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 196.

2 عبد الحميد حاجيات ومعروف بلحاج ومبخوت بودواية ، **المرجع السابق**، ص 203.

3 جورج مارسي، **تلمسان**، ترجمة: سعيد دحماني، دار النشر التَل، الجزائر، 2004، ص 87.

4 عبد الحميد حاجيات وآخرون، **المرجع السابق**، ص 203.

5 جورج مارسي، **المرجع السابق**، ص 08.

في السجون الزيانية نتيجة الحروب التي كان يشنها الأسطول الزياني في البحر الأبيض المتوسط[1]، وهذا ما أكدته الدراسات الأثرية إذ أن المربعات الخزفية التي تزين مسجد المشور هي من صنع أندلسي[2].

تميزت القصور التي شيّدها أبو تشفين بالجمال والتميّز إلى درجة أن أحد هذه القصور زيّنت بشجرة من الفضة أبدع الفنان في هندستها وتخطيطها، حيث يقول عنها التنسي واصفاً إياها "**كانت عنده شجرة من فضة على أغصانها جميع أصناف الطيور الناطقة وأعلاها صقر، فإذا أستعمل المنفاخ في أصل الشجرة وبلغ الريح مواضع الطيور، صوتت بمنطقها المعلوم لمشابهها فإذا وصل الريح موضع الصقر صوت فانقطع صوت تلك الطيور كلها**"[3]، وما يمكن القول عن هذه المرحلة أن المدينة والقصر عرفا ازدهاراً كبيراً ورقي ووصل التعمير في البلاد إلى مرحلة الرّقي.

بعد مجيء أبي تاشفين توقف الصراع الزياني المريني وما عانته المدينة والقصر الملكي للمشور من تدمير، واعتلى عرش الدولة الزيانية أمير جديد وهو أبو حمو موسى الثاني (1359–1389م 760-790هـ)، هذا الأخير جعل من الاحتفال بالمولد النبوي الشريف عادة عند التلمسانيين يسمح لهم بمشاركة الأمير فيها، ودخول قلعة المشور كون الاحتفالات كانت تقام داخل القلعة، أما في الجانب المعماري فيمكن اختصار انجازات أبو حمو موسى الثاني فيما قاله يحي ابن خلدون: "**وبها للملك قصور زاهرت اشتملت على المصانع الفائقة والصروح الشاهقة والبساتين الرائقة، مما زخرفت عروشه ونمقت فروسه ونوسبت أصواله وعروضه فأزرى بالخورنق وأخجل الرصافة وعبث بالسّدير وتنصب إليها من عل أنهار من ماء غير أسن تتجاذبه أيدي المذانب والأسراب المكفورة خلالها ثم ترسله بالمساجد والمدارس والسقايات بالقصور وعليه الدور والحمامات**"[4].

---

1 مُحَمَّد الطمار، **المرجع السابق**، ص 133.

2 وليام وجورج مارسي، **المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان**، تقديم وترجمة: مراد بلعيد وعلي مُحَمَّد بورويبة وفلة عبد مزيام، ط.01، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 55 .

3 مُحَمَّد بن عبد الله التنسي، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان**، حققه وعلق عليه: محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر 2011، ص 141.

4 مُحَمَّد الطمار، **المرجع السابق**، ص 167.

كما عرف محيط قلعة المشور أثناء حكم أبو حمو موسى الثاني حركة غير مسبوقة، حيث أمر ببناء مجمع واسع يحوي المؤسسات الدينية، غرست فواصلها بساتين ولطف هواؤها بالبرك والقنوات، وكانت هذه البنايات في الشمال الغربي لقلعة المشور[1]، وهذا ما جعل هذا المكان يصبح حي العاصمة الرسمي لكثرة الحركة والحيوية فيه[2].

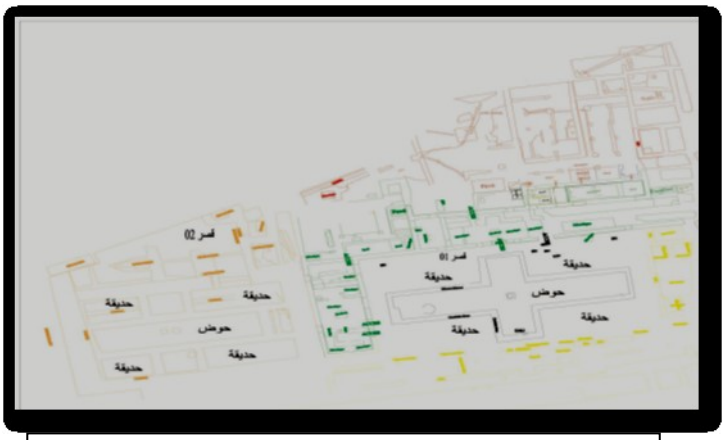

المخطط رقم (01): يمثل قلعة المشور
(عن تقرير حفرية 2009-2010 -بتصرف-)

ويعد أبو حمو موسى الثاني من الأمراء القلائل الذين حافظو على الرَقي الذي وصلت إليه مدينة تلمسان وعمرانها، لكن بعد وفاة هذه الشخصية الفذة مرَت المدينة بظروف صعبة نتيجة الأطماع الخارجية والتكتّلات والانشقاقات الداخلية، وهذا ما جعل الأمراء يهتمون خاصة بفرض النظام والقضاء على الثورات والانقلابات، أما العمران في هذه المرحلة لم يعرف حركة نوعية ويعود هذا أساساً لعدَة أسباب أهمها اهتمام السلاطين بالوضع الأمني، ونقص مداخيل الدولة التي كانت تعتمد على الجباية بفعل تمرد العديد من القبائل وعصيانهم للسلاطين الزيانيين في تلك المرحلة وامتناعهم عن دفع الجباية، حيث لم يبقى المال للإنفاق على العمران عند السلاطين الذين تعاقبوا على حكم الدولة الزيانية في العصر المتأخر، والذي أطلق عليه أغلب المؤرخين فترة الانحطاط إلى أن أصبحت القلعة تحت إمرة الأمير أبو زيان الثاني في أواخر القرن 14م، كما ذكر أبي التنسي أن الأمير أبي زيان

1 جورج مارسي، **المرجع السابق**، ص 93.
2 **نفسه**، ص 95. للمزيد من التفاصيل أنظر: مُحَمَّد بن عبد الله التنسي، **المصدر السابق**، ص 235.

الثاني خلال الفترة (1431م-1461م) قام بإعادة بناء أسوار المشور وبتعزيزها حفاظاً عليها من الغارات الخارجية وأمر بتشييد سور عظيم حول المشور[1]، والذي أتى على المنازل والدور المحيطة بالقصر، حيث يقول أبي الحسن التنسي في هذا الخصوص: "**وهو ما زاد تلمسان حسنا غير أنه لم ينتفع به ساعة من النهار، وما ذاك والله أعلم إلاّ ما وقع بسببه من اغتصاب كثير من الدور المتصلة به...**"[2]، أما حسن الوزان (ليون الإفريقي) وعند نزوله بتلمسان عند الأمير أبي ثابت الزياني نهاية القرن 14م فإنه يصف لنا تلمسان وصفاً كاملاً ومن ضمنها قلعة المشور، حيث جاء في وصفه: "**تلمسان مدينة كبيرة وقاعدة ملك...الأسوار في غاية القوة والارتفاع فتحت فيها خمسة أبواب واسعة جداً، مصاريعها مصفحة بالحديد، وقد أقيمت في جوفها حجيرات يقيم فيها موظفون وحراس ومكاسون، والقصر الملكي الواقع جنوب المدينة محاط بأسوار مرتفعة إلى حد كبير على شكل قلعة، ويضم قصوراً أخرى صغيرة ببساتينها وسقاياتها كلها مبنية بكامل العناية وبأسلوب فني رائع، وللقصر الملكي بابان يفضي أحدهما إلى البادية تجاه الجبل والأخر إلى قلب المدينة حيث يقيم رئيس الحرس**[3]".

2.3. قلعة المشور في العهد العثماني (1554 – 1830):

ضعفت شوكة الأمراء الزيانيين وأصبحت المدن تتمرد على الحكم الزياني، وبالمقابل ظهر خطر جديد يتربص بدول المغرب الأوسط خاصة منها المطلة أو القريبة من البحر الأبيض المتوسط، وهو خطر الإسبان الذين أصبحوا يبحثون عن أقاليم جديدة يضموها إلى ملكهم أو يستغلونها في ملئ خزائنهم من خلال إجبارهم على دفع الضريبة، وبدخول الإسبان المنطقة من بوابة المرسى الكبير بوهران ما كان على الأمراء الزيانيين إلاّ دفع الجباية

1 مُحَمَّد بن عبد الله التنسي، **المصدر السابق**، ص253.

2 حسن بن مُحَمَّد الوزان الفاسي، **وصف افريقيا**، ترجمة: مُحَمَّد حجي ومُحَمَّد الأخضر، ج.01، ط.02، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1983، ص 20.

3 عبد الحميد حاجيات وآخرون، **المرجع السابق**، ص 282.

وإبعاد هذا الخطر عنهم، وفي نفس هذه الفترة ظهرت قوة جديدة أو بالأحرى امتدَ نفوذ هذه القوة إلى منطقة المغرب الأوسط وهم العثمانيون الذين وصلوا مدينة تلمسان بطلب من أهاليها سنة 1517م[1].

دخلت هذه المدينة الراقية بهذا الحدث مرحلة جديدة تميزت بالعديد من الحروب وكانت مسرحاً لهذه المعارك خاصة المعركة التي دارت بين الرايس عروج العثماني ومارتن دارغوث الاسباني التي بدأت بحصار الإسبان للأتراك بقلعة بني راشد، وبضغط من الإسبان انسحب الأتراك وتمركزوا بمدينة تلمسان ودام الحصار ستة أشهر، من خلال هذه المدَة كان القتال مستمر ليلاً ونهاراً حيث تمكن في الأخير الإسبان من السَيطرة على نقاط الاستحكام فأقيمت المتاريس وسط المدينة، وتحولت المعركة إلى قتال شوارع، وبعد أن فقد عروج مع قواته السَيطرة على المتاريس الداخلية انسحب إلى القلعة الداخلية أي قلعة المشور، وحتى داخل القلعة استمر القتال بشراسة مدافعاً عنها بكل قواه، وهكذا تعرَضت المدينة والقلعة للتخريب والتدمير، واستمَر الحصار إلى أن ضجر سكان تلمسان من الحصار الطويل الذي فرض على مدينتهم وغدت منازلهم عرضة للدمار والخراب[2]، وفي فترة حكم الرايس عروج خرج الأتراك من مدينة تلمسان إلاَ أنهم سرعان ما استرجعوا قواهم وحاصروا المدينة من جديد عندما كان الأمير مسعود يجلس على عرش الزيانيين، إذ أن هذا الأخير بعد مواجهته للأتراك خارج المدينة تزعزع جيشه وفرَ هارباً وتحصن بقلعة المشور، وقد حاول الأتراك دخول القلعة بشتَى الوسائل لكن دون جدوى كونهم كانوا يفتقدون للمدافع، وفي آخر المطاف تمكنوا من اجتياح القلعة بتسلقهم جدرانها المحصنة وفتحوا الأبواب للجنود الأتراك[3] وهكذا أصبحت قلعة المشور تحت سيطرة الأتراك وجعلوا منها دوراً لهم ولأهاليهم، وهذا ما يمكن تأكيده في حادثة تمرَد أهالي مدينة تلمسان ضَد الحكم العثماني المتسَلط، حيث عمدوا إلى طلب السماح لهم بأداء صلاة العيد في مسجد القلعة وبمجرد دخولهم القلعة أشهروا سيوفهم في وجه العائلات الأتراك[4].

---

1 عزيز سامح التر، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، ترجمة: محمود علي عامر، ط.01، دار الهدى العربية بيروت، لبنان، 1997، ص 66.

2 عزيز سامح التر، **المرجع السابق**، ص 92.

3 **نفسه**، ص 66.

4 سيدي محمَّد نقادي، **المرجع السابق**، ص ص 30- 31.

عرفت القلعة طيلة التواجد العثماني بها العديد من الإضافات والتغييرات خاصة في المسجد الذي بني من طرف أبو حمو موسى الأول، والذي فقد الكثير من خصوصياته بفعل التغييرات العديدة في العهد العثماني[1]، إذ أن قاعة الصلاة أعيد بناؤها ومخطط المسجد أضحى مشوشاً تماماً والأرضية مرتفعة، أما أسوار المشور هي الأخرى لم تسلم من الإضافات حيث دعَمت أسوار المشور في فترة التواجد العثماني بأبراج مربعة وأخرى دائرية، وأجريت عليه عدَة إصلاحات تتماشى وتطور الأسلحة، حيث استقبلت القلعة مجموعة من المدافع وفتحت أبواب جديدة منها بابا الفروسية في الزاوية الجنوبية، وباب الحديد بالجهة الغربية إلى غيرها من التحصينات الأخرى التي عرفتها القلعة[2]، في حين أن البنايات التي كانت تزينه في الداخل حطَمت تقريبا عن أخرها إثر تمرد أهل تلمسان على الباي حسن عام 1670م[3]، كل هذه الشهادات تؤكد لنا أن قلعة المشور عانت من ويلات الحروب والتغييرات في الفترة العثمانية. (أنظر اللوحة رقم 01)

الصورة رقم (02): سور قلعة المشور ببرج مربع

الصورة رقم (03): سور قلعة المشور ببرج دائري

اللوحة رقم (01): تمثل الأبراج الدفاعية التي ترجع الى العهد العثماني

1 وليام وجورج مارسي، **المرجع السابق**، ص 437.
2 وليام وجورج مارسي، **المرجع السابق**، ص 12.
3 **نفسه**، ص 155.

3.3. قلعة المشور أثناء فترة الاحتلال الفرنسي(1830–1962م):

ما لبث سكان تلمسان يتخلصون من إظطهاد الأتراك حتى سقطت الجزائر تحت رحمة المحتل الفرنسي، ولكثرة ما أفسد هذا المستعمر الغاشم بالبلاد والعباد وتعدّيه على الممتلكات غالبا ما يطلق على هذه المرحلة بفترة الإستدمار الفرنسي، حيث أن قلعة المشور من المنشآت المعمارية التي لم تسلم من التدمير والتخريب، إن تاريخ الوجود الفرنسي في تلمسان وطبيعة علاقته بقلعة المشور يجبرنا إلى تقسيم مدّة الاحتلال الفرنسي للجزائر إلى فترتين أساسيتين ألا وهما فترة مقاومة الأمير عبد القادر ومن معه أثناء زحف الجيش الفرنسي للجهة الغربية من الجزائر، أما الفترة الثانية وهي مرحلة بسط الفرنسيين النفوذ على كل التراب الوطني وتمكّنه من كل عمران البلاد، وسنستدرج كل مرحلة على حدا والتغيرات التي طرأت على قلعة المشور:

في مرحلة المقاومة التي أبداها الأمير عبد القادر فقد تميزت بالسَيطرة على جَل المدن الغربية التي بايعته، لكن في مدينة تلمسان وعلى غرار العديد من مدن الغرب الجزائري وجدت طبقة من القادة قبلت بالمحتل الفرنسي وهي الفئة التي خلّفها العثمانيون في الحكم بعد طردهم من المدينة "الكول أوغلان" هؤلاء الفلول الباقية من التواجد العثماني نقضوا العهد والميثاق مع الأمير عبد القادر، وانضموا إلى صفوف الفرنسيين وتحصنوا في قلعة المشور ومعهم مجموعة من سكان المدينة[1]، وفي أحد الغزوات التي قام بها الفرنسيون لمدينة تلمسان وعلى إثر تفوق جيش الأمير عبد القادر على الجيش الفرنسي، استنجد العسكر الفرنسي بالكول أوغلان الذين ساعدوهم على الهروب إلى قلعة المشور والاحتماء بداخلها، وقام الأمير وجيشه بمحاصرة القلعة لمدة 9 أشهر[2]، ولعلَ طول مدَة الحصار وطبيعته يجعل الواحد منا يجزم أن القلعة تعرضت لأعمال التخريب والتدمير.

أما المرحلة الثانية في الفترة الاستعمارية زار العديد من المولعين بالفن وعلى اختلاف شرائحهم مدينة تلمسان، هذه المدينة الباسطة في التاريخ وكل من زارها أعجب بعمرانها فوردت اليوم إلينا العديد من المؤلفات واصفة المدينة في شتى الجوانب، ومن المعالم التي أشير إليها كثيرا وأثارت انتباه كل من زار تلمسان هي قلعة المشور العتيق، حيث ذكر طاطارو TATAREAU الذي زار المدينة سنة 1835م بأن موقع المشور: "يقع المشور في الجهة الجنوبية

---

1 مُحَّد الطمار، **المرجع السابق**، ص 253.

2 **نفسه**، ص 256.

من المدينة له شكل مستطيل حوالي 280/460م، وبداخله تم إحصاء ما بين 80 إلى 100 منزل البعض منها بالقرب من السور، والبعض الأخر يغطي الجهة الجنوبية الواقعة خارج أسوار المشور"[1]، أما المخطط المنجز سنة 1843م فقد أظهر أن المشور فقد معظم الدور والمساكن. (أنظر المخطط رقم 02)

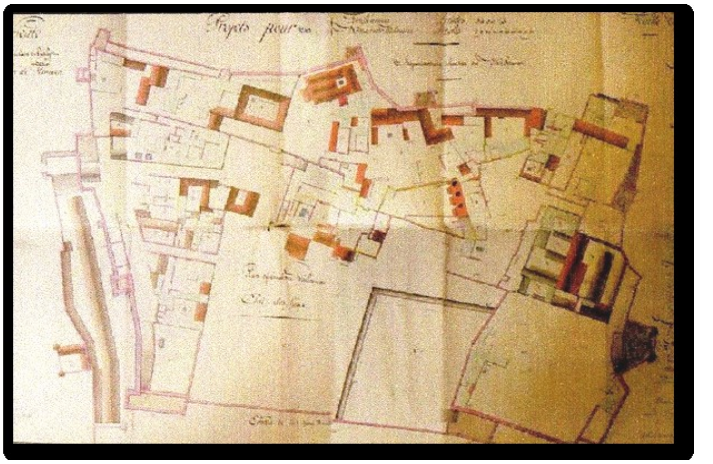

كما ذكر جورج مارسي* أن المصلى الموجود داخل قلعة المشور لم يسلم هو الأخر من التعدي إذ عمد الفرنسيون إلى تحويله إلى مستودع ملحق بالمستشفى العسكري، ومن ثم إلى كنيسة كاثوليكية[2]، هذه الوظائف الجديدة التي أداها هذا المصلى جعلته يتعرض إلى تشويه كبير في طابعه المعماري، ومن مظاهر التَلف والتدمير التي تعرضت لها قلعة المشور أيضاً في الفترة الاستعمارية، نذكر التَعديات التي أشار إليها مارسي فيقول بخصوص قلعة المشور عندما دخل جيش الاحتلال الفرنسي تلمسان لأول مرة لم يكن بالمدينة إلا خمس أهلها[3]، وعرفت المدينة

1 Rapport préminaire de stage, **Stage Archéologique Tlemcen 19– 20 Juin juillet**, Algérie (OGEBC), 2008, p p 05-07.

*جورج مارسي: أستاذ بالمدرسة الآداب بالجزائر، ومحافظ متحف تلمسان في الفترة الاحتلال الفرنسي واهتم بالفن الإسلامي بالجزائر.

2جورج مارسي، **المرجع السابق**، ص 89.

3 Barges (L.), **Tlemcen Ancienne Capitale du Royaume de ce nom**, Imprimerie Orientale Demarius Nicolas, Paris, 1859,p 385.

بعد ذلك إهمال محتليها الجدد، أما المشور حصن حامية تلمسان حافظ على أسواره لكن الكثير من عمرانه وعمران المدينة بصفة عامة اندثر[1].

أما القس بارجيس** والذي حل بمدينة تلمسان سنة 1846م، سعى للتعريف بقلعة المشور واصفاً إليها: "**المشور هو عبارة عن فضاء واسع جاء على شكل مستطيل، مسور بجدار عالي، من الناحية الغربية يوجد مسجد مزين بمنارة وبجواره بنايات حوّلت كلها إلى مستشفى عسكري هذا من الجهة اليمنى، أما من الجهة اليسرى يوجد باب مقبب ومنازل يستغلها قادة عسكريون، أما المنازل أو الشاليات فقد وضعت في الناحية الشرقية أين يوجد القصر الملكي ببساتينه التي توجد بها أشجار البرتقال والليمون وهي ذات حجم وجمال غير مألوف، ومن الناحية الشمالية الغربية بها بنايات جميلة ربما كانت مساكن عمال وحاشية ملوك تلمسان**"[2].

ومن الأمور التي تشدَ الانتباه في وصف القس بارجيس لقلعة المشور أنه تصادفت فترة زياراته للقلعة مع أيام أعمال بناء وإجراءات التعديل للقلعة، فقد أكدَ بارجيس أنَه أثناء عمليات الحفر تَم اكتشاف أثار ذات أهمية بالغة تَم ردمها وطمس أثارها[3].

ومن التعديات التي ألحقها المستعمر الفرنسي بالطراز الأصلي لقلعة المشور أنه قام بهدم ضريح ولي صالح كان موجوداً عند الباب الرئيسي المفتوح لوسط المدينة أقيم مكانه منتزه قبالة فندق المغرب والمقاهي المجاورة له اليوم، واكتفى بوضع مكان الضريح لوحة تذكارية ما تزال موجودة في مكانها إلى غاية اليوم[4].

---

1 Barges (L.),Op.cit,p385

** القس بارجيس ولد ما بين سنة 1792- 1794م من كبار العائلات التي قطنت مدينة تلمسان اهتم بآثار مدينة تلمسان، وألف عنها الكثير من المؤلفات.

2 Bel (A.), "**Note sur Inscription de 1846**", Revue Africaine, volume 55, A. Jourdan, Paris, 1911, p 161.

3 **Ibid**, p 359.

4شرقي الرزقي، **الآثار الإسلامية بتلمسان (بحوث ودراسات أثرية)**، موفم للنشر، الجزائر، 2013، ص 21.

مخطط رقم (03): المبنى العسكري بشمال المشور 1858 م
(عن المركز الوطني للأبحاث الأثرية)

4. خاتمة:

شهد عمران قلعة المشور تطور تطوراً كبيراً خلال الأحداث التاريخية التي تعاقبت عليها، وكانت لها تأثيراتها في توجيه حركة العمران، منذ أن كانت قلعة زيانية منيعة إلى أن شغلت وظائف متعددة في العهد العثماني إلى غاية الاحتلال الفرنسي، الذي عمد على إضافة وتحويل مهامها، والأعمال التخريب والهدم التي طالتها، إلاّ أنها مازالت تحتفظ بالمعالم التاريخية والأثرية كشاهدة على الماضي وشاغلة في الحاضر، فهي مقصد سياحي للزوار بالدرجة الأولى بمدينة تلمسان.لذلك يجب الإهتمام بهذا الصرح الأثري مع ضرورة حفظ خصوصياته المعمارية الذي يختزل لنا تاريخ وفنون عديد الحضارات التي تركت بصمتها في جوانب هذا القصر العتيق .

6. البيبليوغرافيا:

- المصادر :

-ابن خلدون عبد الرحمان، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج.07، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1983.

-ابن خلدون ابي زكريا يحي، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، المجلد 01، مطبعة بيير فونتانا الشرفية، الجزائر، 1903.

مُحَّد بن عبد الله التنسي، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان**، حققه وعلق عليه: محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر 2011.

- المراجع باللغة العربية:

-عبد العزيز لعرج وعلي حملاوي وعبد الكريم عزوق، **مساهمة الجزائر في الحضارة العربية الإسلامية**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.

-مُحَّد الطمار، **تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

-الحاج مُحَّد بن رمضان شاوش، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة ملوك بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

-عبد الحميد حاجيات ومعروف بلحاج ومبخوت بودواية، **كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.

-جورج مارسي، **تلمسان**، ترجمة: سعيد دحماني، دار النشر التّل، الجزائر، 2004.

-وليام وجورج مارسي، **المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان**، تقديم وترجمة: مراد بلعيد وعلي مُحَّد بورويبة وفلة عبد مزيام، ط.01، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

-حسن بن مُحَّد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا**، ترجمة: مُحَّد حجي ومُحَّد الأخضر، ج.01، ط.02، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983.

-شرقي الرزقي، **الآثار الإسلامية بتلمسان (بحوث ودراسات أثرية)**، موفم للنشر، الجزائر، 2013.

-عزيز سامح التر، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، ترجمة: محمود علي عامر، ط.01، دار الهدى العربية بيروت، لبنان، 1997.

-سيدي مُحَّد نقادي، **التصميم العمراني لمدينة تلمسان ودلالاته الاجتماعية**، رسالة لنيل درجة الماجستير، معهد الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 1991.

- المراجع باللغة الأجنبية:

-Barges (L.), **Tlemcen Ancienne Capitale du Royaume de ce nom**, Imprimerie Orientale Demarius Nicolas, Paris, 1859.
-Rapport préminaire de stage, **Stage Archéologique Tlemcen 19 Juin – 20 juillet**, Algérie (OGEBC), 2008.
-Bel (A.), "**Note sur Inscription de 1846**", Revue Africaine, volume 55, A. Jourdan, Paris, 1911.